

نقلنا عن مجلة الشهاب في جُزئها الثاني من المجلد الخامس عشر، الصادر في غُرة صفر 1358 هجرية الموافق ل 23 مارس 1939 للميلاد :

بسم الله الرحمن الرحيم، المسّلم عليك أيّها النّبّيّ ورحمة الله وبركاته، وصلوات الله عليك وعلى إخوانك الأنبياء وآلِكَ الأصفياء وصحبك الأتقياء ومُتبعيك الأوفياء .

أي سيدي محمد بن عبد الله : ليس أتباعك فحسب هم المدينين لك بالهدى والرشد والعلم والنور والحرية العقلية والحرية الاجتماعية وليس فحسب هم الذين قبسوا من ذارك واستضاءوا بنورك فلقد جاء الغيث من سحُبِكَ فتلقاه أقوام تطهروا به وبردوا غلة الظما وسلك الله بعضه يبايع في الأرض تفجرت عند أقوام انتفعوا بها ولم يعلموا أنّها من غيثك وأنّها من سحُبِكَ فكم لك من يد على من أحبّك ولم يُحبّك على من عرفك وعلى من لم يعرفك، وكم لك من نعمة وكم لك من فضل، قد علم الله طيب عُصرك ونقاء جوهرك وصفاء سريرتك ومضاء عزيمتك وقوة إرادتك وشدة أمانتك وطول أناةك وصبرك وبُعدك عن الدنيا، وقربك منه وشدة اتصالك به فاختارك أمينا على وحيه مُؤديا لرسالته فصبرت وصابرت واحتملت وجاهدت وكان الله لك مُعينا وكان الله لك نصيرا وكان الله لك هاديا ومُرشدا .

ولقد تولّك الله إذ وجدك يتيما فأوى ووجدك ضالما فهدى ووجدك عائلا فأغنى وشرح صدرك ورفع ذكرك وأعلى قدرك، ولقد ثبتتكَ في مواضع تزل فيها الأقدام وتحار فيها الأفهام فصمدت أمام الباطل رافعا راية الحق واعتصمت بحبل الله في مواطن تزيغ فيها الأبصار وكان الله مولاك وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، لقد وصفك الله في كتابه وذلك حسبك بأنك على خُلُقٍ عظيم، وقتلت وأنت أصدق قائل من الخلق : أدبني ربّي فأحسن تأديبي، فمادنا نقول فيك بعد هذا، ولقد كان من حُسن الأدب أن نكف عن القول وأن نرد قول الله فيك، لكنّنا نحبك وقد امتزج حبك بدمائنا وخالط قلوبنا فلنا العذر والله عليم غفور رحيم .

أي سيدي رسول الله : كلّ جانب من جوانبك مُشرق مُضيء وكلّ ناحية من نواحيك بعيدة المدى مُترامية الأطراف بعيدة الغور وليس من السهل على القائل أن يقول فكل حديث مع هذا الجلاء حقير، لكنّنا مُحبون، يقبل منّا ما نقدم والله هو المطلع على المسرائر .

أي سيدي إمام الأنبياء : نبا بك الموطن، ولم يُطق الباطل صبرا على ما أنت عليه من الشدة في الحق وأدار أهلك الرأبي فيك فلم يقنعوا إلّا بالخلاص منك وإهراق ذلك الدم الزكي ونقض ذلك الهيكل المقدس، وإطفاء ذلك النور لكنّك عقلا راجحا ورأيا واضحا وفراصة تصل بها إلى أعماق القلوب، وخفيات الضمائر ولك صديق كريم عند ذي العرش مكين لا يكلك إلى نفسك ولما يخلي بينك وبين الأعداء ولك رب عزيز رحيم، اختارك لوجهه واصطفاك لرسالته وأراد أن تكون خاتم الأنبياء وأن يكون هدي العالم على يدك فكانت الهجرة وبها وقى الله عبده وحببيه وصفيه وخليله، وبها انساح الإسلام في الأرض، يحيي مواتها ويخرج نباتها، ويورق أشجارها ويطلع ثمارها، وبها بلغت الإنسانية آخر طور من أطوارها وبرئ الإنسان من معبودات كثيرة إلى معبود واحد، ومن أرباب مُتعددة إلى رب واحد، يذاجيه في كل صلاة إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، خرجت عن وطنك ورحلت عن أماكن محببة إليك، فيها تراث عزيز وفيها ذكريات الصبا والكهولة وفيها عشيرة وأحباب وفيها مثوى الآباء .

فأرقت هذا لأن الحق أحق بك وأحب إليك من أولئك ، ولقد كنت فيهم لولما ما جئتهم به من دين ودعوتهم إليهم من حق ، حبيبا إلى نفوسهم لأحقا بقلوبهم ، يقدونك بالآباء والأمهات وبالطارف والتلبد ، لصفات مي زتك عن لدانك وخصصت بها من بين أهلك ، ولكن الله أحب إليك من الآباء والعشيرة ومن الأهل ومن الولد ، بل ما كنت ترى في الوجوه غيره ، ولما يقع نظرك إله عليه ، ولما تفكر إله فيه ، صلوات الله وسلامه عليك .

أي رسول الله : تركت فينا كتاب الله واعظا وتركت فينا سننك إماما ودليلا ، لكننا أعرضنا فلم نتعظ وعمينا فلم نهتد واتخذنا غيرك مرشدا وأخذنا الهوى دليلا ، وخلفنا غيرك أهدي وأقوم ، وأعلم وأسلم ، فخطبنا في الفتنة وأضعنا في الغواية وضللنا الطريق القويم وهو أمام الأعين ، إله نضحة من نضحاتك الطاهرة ، ونسمة تهب من جانبك ، تروح عن قلوب المكروبين وتغيب الملهوفين فتحيي مي ت القلوب ، وتعيد شباب المدين ومجد الأولين ، رب إن المهدي هداك ، وآيات من الله تهدي بها من تشاء .

وإذا حلت الهداية قلبنا *** نشطت في حلولها الأعضاء .

هذه أممك تنتسب إليك بالقول ، وأنت لا ترضاها إله عاملة مخلصه ، وتقرأ كتابك لا يجاوز حناجرها ولما يصل إله قلبها وأنت لا ترضاها إله متحققة به ناصحة ، تركتها أمة واحدة فتفرقت ، وتركتها جسما واحدا فتمزقت وتركتها عزيزة فذلت وقوية فضعفت ، شعبتها الأهواء وتعددت فيها الأدواء متخاذلة عن الحق قوية في الباطل يكيدها لبعض ويخذل بعضها بعضا ، ولو أنك اليوم بيننا لنكرتنا ، ولو أنك اليوم بيننا لما عرفتنا :

أم الخيام فإنها كخيامكم *** وأرى نساء المحي غير نساءها

ولقد كان المسلمون قلة مستضعفة في الأرض يخاضون أن يتخطفه الناس فأوهم الله وأمدهم بنصره ومكن لهم الأرض واستخلفهم فيها وصاروا ملوكا وساسة للأمم وولاء وأمراء ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، فرفضوا رأيتهم عالية وباعوا أنفسهم في سبيله فعز بهم وعزوا به ثم تبدل الحال فأصبحوا كثرة لا غناء فيها ، سلب الله من أهدائهم الرعب منهم ، وسكن قلوبهم الفرق والمخوف من أهدائهم كل هذا والإسلام هو الإسلام ولكن لا يعمل إله في يدي بطل ولما يصلح إله إذا كان في يد شجاع مؤمن به .

لما يصلح أمر هذه الأمة في آخرتها إله بما صلح به أولها ، رجوع إله إلى الله وهدية وتحكيم كتابه عند الاختلاف ، وإن ي مولاي الرسول الكريم مؤمن بالله ومؤمن بك ومؤمن بأن حوادث الزمان أكبر مؤدب وأعظم مرشد وأهدى ناصح وبأن أمواج البغي ستتكسر على الصخور التي وضعتها للن جاة وبأن العالم سيلجأ إليك طالبا إنقاذه مرة أخرى وإخراجه من الغي والضلال إله الهدى والمرشاد وبأنك ستمد يدك إله مستعينا بالله والله المستعان .

وإنني أعتنم هذه الليلة المباركة فأسأل الله جلّت قدرته وعظمت نعمته لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول رعاية دائمة وعناية شاملة وتوفيقا إله الخير والسعادة كما أسأله للمسلمين عامة ولهذا البلد خاصة هديا ورشادا وعونا وإسعادا والله سميع الدعاء .

